حكايات تراثية

①

وهذه ثمرة العجلة

الدكتور
محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

وَما هِيَ فَوائِدِ القِصَصِ؟!

بَيْنَمَا كَانَتْ (لَمْيَاءُ) تُرَتِّلُ في صَبِيْحَةِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ رَمضَانَ سُوْرَةَ يُوْسُفَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أُعْجِبَتْ كَثِيْرَاً بِأسْلُوْبِ سَرْدِ القُرْآنِ الكَرِيْمِ لِلْقِصَّةِ ، لَكِنَّها فُوْجِئَتْ بِآخِرِ آيَاتِهَا ، وَذَلِكَ في

قَوْلِ اللهِ تَعَالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

وتَسَاءَلَتْ في نَفْسِهَا: إِذاً هُنَاكَ فَوَائِدُ ، وَعِبَرٌ لِلْقصَصِ ، فَلِمَاذَا لا أسْأَلُ خَالِيَ (أَنِيْساً) وَهُوَ مُخْتَصٌّ بِعُلُوْمِ القُرآنِ الكَرِيْمِ؟

... فَحَمَلتْ سَمَّاعَةَ الهَاتِفِ ، وَأَدَارَتِ قُرْصَ الأرْقَامِ ، وَتَحدَّثَتْ مَعَ

خَالِهَا ، وَاسْتَفْسَرَتْ مِنْهُ عَنْ تِلْكَ الآيَةِ الشَّرِيْفَةِ ، وَعَنْ فَوَائِدِ القِصَصِ ، وَمَا إلى هُنَالِكَ ، فَحَدَّثَهَا حَدِيْثَاً مُوْجَزَاً ، وَلَكِنَّهُ مُفِيْدٌ ، وَدَلَّهَا عَلَى أَهَمِّ المَرَاجِعِ ، والمَصَادِرِ الَّتِي تَبْحَثُ في ذَلِكَ...

وخِلالَ عِدَّةِ أَسَابِيْعَ عَكَفَتْ (لَمْيَاءُ) في المَكْتَبَةِ العَامَّةِ؛ وَهِيَ تَبْحَثُ ، وتُفَتِّشُ عَنْ كُلِّ مَا يتعَلَّقُ بِالقِصَصِ.

والْجَمِيْلُ في الأمْرِ: أَنَّهَا كَانَتْ

تُدَوِّنُ كُلَّ ما تَرَاهُ مُفِيْداً ، وَنَافِعاً ، فَتَكَوَّنَ لَدَيْهَا أَكْثَرُ مِنْ مِئَتي صَفْحَةٍ عَنْ ذَلِكَ المَوْضُوع ، وَأَلْحَقَتْ بِهِ مَا يُقارِبُ مِنْ مِئَةِ صَفْحَةٍ كَنَمَاذِجَ عَمَلِيَّةٍ عَنِ الحِكَايَاتِ الَّتِيْ حَدثَتْ في الزَّمَانِ المَاضِي ، وَكَانَ مِنْهَا هَذِهِ الحِكَايَةُ الرَّائِعَةُ:

بَيْنَ النَّاسِكِ وَزَوْجَتِهِ

يُحْكَى أَنَّ: نَاسِكاً ـ أيْ: رَجُلٌ زَاهِدٌ ـ كَانَ بِأرْض جُرْجَانَ ، وَكَانَت

لَهُ امْرَأَةٌ جَمِيْلَةٌ ، فَمَكَثَا زَمَاناً لَمْ يُرْزَقَا وَلَداً.

وَبَعْدَ فَتْرَةٍ شَاءَ اللهُ لَهَا أَنْ تَحْمِلَ ، فَسُرَّتِ المَرْأَةُ ، وَسُرَّ زَوْجُهَا النَّاسِكُ بِذَلِكَ ، فَحَمِدَ اللهَ تَعَالى ، وَسَأَلَ الرَّجُلُ رَبَّهُ أَنْ يَكُوْنَ الحَمْلُ ذَكَراً!

وَقَالَ لِزَوْجَتِهِ: أَبْشِرِيْ ، فَإِنِّيْ أَرْجُو أَنْ يَكُوْنَ غُلاماً ، لَنَا فِيْهِ مَنَافِعُ ، وَقُرَّةَ عَيْنٍ ، أَخْتَارُ لَهُ أَحْسَنَ الأَسْمَاءِ ، وَأُحْضِرُ لَهُ سَائِرَ الأُدَبَاءِ.

فَقَالَتِ المَرْأَةُ: وَمَا يَحْمِلُكَ عَلَى أَنْ تَتَكَلَّم بِمَا لا تَدْرِي: أَيَكُونُ؛ أَمْ لا؟ وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ النَّاسِكَ الَّذِيْ أَرَاقَ عَلَى رَأْسِهِ السَّمْنَ والعَسَل!!

وَفُوْجِىء الزَّوْجُ بِقَوْلِهَا ، فَاعْتَدَلَ مِنْ جلْسَتِهِ ، وَقَالَ: وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ مَعَ نَاسِكٍ مِثْلِيْ؟!

فَرَاحَتْ تَقُصُّ عَلَيْهِ الحِكَايَةَ بَتَفْصيلاتِهَا:

حِكَايَةُ النَّاسِكِ الحَالِمِ

قَالَتْ: زَعَمُوا: أَنَّ نَاسِكاً كَانَ يَجْرِيْ عَلَيْهِ ـ أَيْ: يَأْتِيْهِ بِشكْلٍ دَائِمٍ ـ مِنْ بَيْتِ رَجُلٍ تَاجِرٍ في كُلِّ يَوْمٍ رِزْقٌ مِنَ السَّمْنِ ، وَالعَسَلِ ، وَكَانَ يَأْكُلُ مِنْهُ قُوْتَهُ ، وَحَاجَتَهُ ، وَيَرْفَعُ البَاقِي ، وَيَجْعَلُهُ في جَرَّةٍ ، فَيُعَلِّقُهَا في وَتَدٍ في نَاحِيَةِ البَيْت؛ حَتَّى امْتَلأتْ.

فَبَيْنَمَا النَّاسِكُ ذَاتَ يَوْمٍ مُسْتَلْقٍ

عَلَى ظَهْرِهِ ، وَالعُكَّازَةُ في يَدِهِ ، وَالجَرَّةُ مُعَلَّقَةٌ فَوْقَ رَأْسِهِ؛ تَفَكَّر في غَلاءِ السَّمْنِ وَالعَسَلِ.

فَقَالَ: سَأَبِيْعُ مَا في هَذِهِ الجَرَّةِ بِدِيْنَارٍ ، وَأَشْتَرِيْ بِهِ عَشْرَةَ أَعْنُزٍ ، فَيَحْبَلْنَ ، وَيَلِدْنَ في خَمْسةِ أشْهرٍ بَطْناً ، وَلاَ تَلْبَثُ إلا قَلِيْلاً حتَّى أسْتَبْدلَهَا بِغَنَمٍ كَثِيْرٍ...!

ثُمَّ راحَ النَّاسِكُ يَحْسُبُ مَا سَيَحْدُثُ بَعْدَ عِدَّةِ سَنَواتٍ ، وَوَصَلَ إلىٰ مَايَلي: سَأَبِيْعُ ذٰلِكَ كُلَّهُ ،

وأَشْتَرِيْ بِهِ مِئَةً مِنَ البَقَرِ ، بِكُلِّ أَرْبَعَةٍ أَعْنُزٍ ثَوْرَاً ، أَوْ بَقَرَةً ، وَأَشْتَرِيْ أَرْضَاً ، وَبِـذْراً ، وَأَسْتَـأْجِرُ أَكرَةً ـ أي: أُجَرَاءَ ، وَعُمَّالاً ، وَأَزْرَعُ عَلَىٰ الثِّيْـرَانِ. وَأَنْتَفِـعُ بِـأَلْبَـانِ الإِنَـاثِ وَنِتَاجِهَا. فَلا يَأْتِي عَلَيَّ خَمْسُ سِنِيْنَ إِلا وَقَدْ أَصَبْتُ مِنَ الزَّرْعِ مَالاً كَثِيْراً ، فَأَبْنِي بَيْتاً فَاخِراً ، وَأَشْتَرِيْ إِمَاءً ، وَعَبِيْداً ، وأَتَزَوَّجُ امرأةً ذَاتَ حُسْنٍ ، وجمالٍ! ثُمَّ تَأْتِي بِغُلام سَرِيٍّ نَجِيْبٍ. فَأَخْتَارُ لَهُ أَحْسَنَ الأَسْمَاءِ ، فَإِذَا

تَرَعْرَعَ أدَّبْتُهُ ، وَأَحْسَنْتُ تَأْدِيْبَهُ ، وَأُشَدِّدُ عَلَيْهِ في ذٰلِكَ ، فَإِنْ يَقْبَلْ مِنِّيْ ، وَإلا ضَرَبْتُه بِهٰذِهِ العُكَّازَةِ ، وأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَىٰ الجَرَّةِ فَكَسَرَهَا ، فَسَـــالَ السَّمْـــنُ ، والعَسَـــلُ عَلَـــىٰ وَجْهِهِ!!

(ابْنُ عُرْسٍ) مَعَ النَّاسِكِ الآخَرِ!!

وَبَعْدَ أَيَّامٍ وَلَدَتِ المَرْأَةُ غُلاماً جَمِيْـلاً ، فَفَـرِحَ الأَبُ كَثِيْـراً ، وَلٰكِـنْ حَدَثَ مَا لَمْ يَكُنْ في الحِسْبَانِ!!

بَعْدَ أَيَّامٍ أَرَادَتِ المَرْأَةُ أَنْ تَذْهَبَ

إِلىٰ حَمَّامِ السُّوْقِ ، فَتَرَكَتِ الغُلامَ عِنْدَ أَبِيْهِ ، وَفي تِلْك الآوِنَةِ جَاءَ رَسُوْلُ المَـلِكِ يَسْتَـدْعِي الأَبَ ، فَلَـمْ يَجِدْ مَنْ يَخْلُفُهُ عِنْدَ ابْنِهِ غَيْرَ (ابْن عُرْسٍ) ـ وَكَانَ قَدْ رَبَّاهُ صَغِيْراً ـ ، فَتَرَكَهُ النَّاسِكُ عِنْدَ الصَّبِيِّ ، وأَغْلَقَ عَلَيْهِمَا بَابَ البَيْت ، وَذَهَبَ مَعَ رَسُوْلِ المَلِكِ.

فَخَـرَجَ مِـنْ بَيْـنِ أَحْجَـارِ البَيْـت ثُعْبَان أَسْوَدُ ، ولَمَّا اقْتَرَب مِنَ الغُلامِ؛ ضَرَبَهُ (ابْنُ عُرْسٍ) ، ثُمَّ وَثَبَ عَلَيْهِ ،

فَقَتَلَهُ ، ثُمَّ قَطَّعَهُ ، وامْتلأ فَمُهُ مِنْ دَمِهِ!

وَلَمَّا عَادَ النَّاسِكُ إِلىٰ بَيْتِهِ ، وَفَتَح البَابَ؛ رَأَىٰ (ابْنَ عُرْسٍ) وَقَدْ تَلَوَّثَ فَمُهُ بِالدَّم.

فَغَضِبَ الرَّجُلُ وظنَّ: أَنَّ (ابْنَ عُرْسٍ) قَدْ أكَلَ وَلَدَهُ ، ودُوْنَ تَرَوٍّ حَمَلَ عُكَّازَتَهُ ، وانْهَالَ ضرْباً عَلَى (ابْنِ عُرْسٍ) حتَّى قَتَلَهُ . ثُمَّ دخَلَ إِلَىٰ الغُرْفَةِ ، فَرَأَىٰ غُلامَهُ سَلِيماً ، وَرَأَىٰ إِلَىٰ جِوَارِهِ ثُعْبَاناً مُقَطَّعاً.

فَلَمَّا دَقَّقَ النَّظَرَ؛ تَبَيَّنَ لَهُ سُوْءُ فِعْلِهِ في العَجَلَةِ ، فَرَاحَ يَلْطِمُ خَدَّيْهِ؛ وَهُوَ يَقُوْلُ: لَيْتَني مِتُّ قَبْل هَذَا! لَيْتَني لَمْ أُرْزَقْ هٰذَا الوَلَدَ ، وَلَمْ أَغْدِرْ هٰذَا الغَدْرَ!

وَدَخَلَتِ امْرَأتُهُ ، فَوَجَدْتُه عَلىٰ تِلْكَ الحَالِ ، فَسَأَلَتْهُ ، فَأَخْبَرَهَا بِالْخَبَرِ ، فَهَزَّتْ رَأْسَهَا وَقَالَتْ: هَذِهِ عَاقِبَةُ العَجَلَةِ!!

* * *